يا نفس قد طاب في إمهالك العمل ... فاستدركي قبل أن يدنو لك الأجل
إلى متى أنتِ في لهوٍ وفي لعبٍ ... يغرُّكِ الخادعان : الحرص والأمل
وأنتِ في سكر لهوٍ ليس يدفعه ... عن قلبك الناصحان : العتب والعذل
تزوَّدي لطريق أنت سالكة ... فيها فعمّا قليل يأتكِ المثل
ولا تغرُّكِ أيام الشباب ففي ... أعقابها الموبقان : الشيب والأجل
يا نفس توبي من العصيان واجتهدي ... ولا يغرَّنّك : الإبعاد والملل
ثم احذري موقفاً صعباً لشدَّته ... يغشى الورى المتلفان : الحزن والوجل

* * *

والله لو كنتَ إلهاً لم تكن!!

روى ابن إسحاق أن عمرو بن الجموح كان من سادات بني سلمة وأشرافهم ، وكان قد اتَّخذ صنماً من خشب في داره يُقال له (مناة) يعظِّمه ويظهره ، ولكن ابنه معاذ أسلم وكان له أصدقاء كمعاذ بن جبل ، فكانوا يأتون ليلاً على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويحكم ، من عدا على إلهنا هذه الليلة ؟ ثم يأتي به فيغسله ويطيِّبه ثم يقول : لو أعلم من يفعل بك هذا لأخزينَّه ، وتكرر ذلك الموقف ، وفي إحدى الليالي جاء بسيفه وعلَّقه عليه ثم قال له : إني و الله لا أعلم من يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، هذا السيف معك ، فلما نام عمرو عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيه عذر من عذر الناس ، فلما استيقظ عمرو لم يجده في مكانه ، فخرج يتبعه ، حتى إذا وجده في تلك

البئر منكّساً مقروناً بكلب ميِّت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله وحسُن إسلامه .

فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول :

والله لـو كنـتَ إلهـاً لـم تكـن ... أنت وكلبٌ وسط بئرٍ في قَرَنْ[1]
أُفٌّ لملقـــاكَ إلهـــاً مستـــدن ... الآن فتشناك عن سوء الغَبَنْ[2]
الحمـــد لله العلـــيِّ ذي المِنـــن ... الـواهـب الـرزَّاق ديَّـان الـدِّيَـنْ
هـو الـذي أنقـذني مـن قبـل أن ... أكون في ظلمة قبرٍ مُرتَهَنْ[3]

* * *

اكتبوا عبدي هذا في المتجبرين :

أعطى الله سبحانه وتعالى رسوله صلوات الله عليه هيبةً لم يعطها أحداً من العالمين ، ومع ذلك فقد كان صلوات الله عليه قِمَّةً في التواضع .

فها هو ذا يأتيه رجلٌ إلى المدينة المنوَّرة ، وما إن دخل عليه حتى دخل الخوف قلب الرجل وأصابته رعدة شديدة ، ولاحظ رسول الله ﷺ ذلك على وجه الرجل فقال له : « هوِّن عليكَ ، فإنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[4] »[5] .

---

(١) القَرَن : هو الحبل الذي يُشدُّ به الأسير .
(٢) الغبن : الخديعة .
(٣) من البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ١٦٤ .
(٤) القديد : اللحم المجفف (المقدَّد) .
(٥) رواه ابن ماجه .